المشرق

يوبيل كليّة اثينا ومؤتمر المستشرقين

ذكرى للاب لويس رتزقال اليسوعي ممثل مكتبنا الشرقي

كان يوم الفصح في هذا السنة من اجلّ الاعياد وابهج المواسم لاهل اثينا فانطبع ذكرهُ على صفحات قلبهم طبعاً يقوى زمناً طويلاً على آفات الدهر. وقد دام هذا العيد اسبوعاً كاملاً (من ٧ الى ١٤ نيسان) توالت فيهِ الافراح على عاصمة اليونان والمتوافدين اليها

السنة الجارية هي السنة الخامسة والسبعون لانشاء مدرسة اثينا الجامعة المعروفة بالكليّة الوطنيّة (١ فاراد اصحابها ان يحتفلوا بيوبيلها الالماسي احتفالاً فائقاً ازداد رونقهُ بعقد مؤتمر المستشرقين السادس عشر على مقتضى اتّفاق المؤتمر السابق في كوبنهاغ (٢. فكان ازدواج حفلات الموسمين مجلبة لجماهير الوافدين الى حاضرة اليونان (٣ وذلك ما كان يرغبهُ اهلها وان اضرّ نوعاً باعمال المؤتمر وعاق حركات المستشرقين

---

١) في اثينا كليّة أخرى تُنسب الى كابو دسْتريا (Capo d'Istria) احد زعماء الاستقلال اليونانيّ واول رؤساء الجمهوريّة اليونانيّة سنة ١٨٢٧

٢) مؤتمرات المستشرقين تُعقد كل اربع سنوات فكان مؤتمر كوبنهاغ عيّن سنة ١٩٠٨ مدينة اثينا لاقامة المؤتمر التالي وفي هذا العام لم يتّفق المؤتمرون في اثينا على اختيار المدينة للمؤتمر التالي وقد عيّنوا لجنة تهتمُّ بالامر

٣ ولذلك كنت ترى في شوارع اثينا كثيرين من الوفود عارضين على صدورهم وسامَين وسام المؤتمر الممثّل لإلهة الحكمة كما وسمناهُ هنا ووسام النوّاب لحضور الاعياد اليوبيليّة وهو عبارة عن نوط مستدير يمثل رأس الإلهة فقط

كلٌّ يعلم انَّ المؤتمرات تتألف من النواب الذين توفدهم رسمياً الدول او الجمعيات العلمية ثم من الخواصّ الذين يحضرون باسمهم الخاصّ جلسات المؤتمر. ففي هذه السنة كان عدد الوفود متضاعفاً ارسلت الدول بعضهم لمؤتمر المستشرقين والبعض الآخر لاعياد اليوبيل وكذلك كان انضمّ الى المؤتمر عدد عديد من الذوات ليس رغبةً في الدروس الشرقيَّة بل توقاً للحفلات التي كانت لجنة المؤتمر وعدت بها وافاضت سلفاً في اوصافها. وكان من جملة الامتيازات الحاصل عليها اعضاء المؤتمر ان يُسمح لهم بحضور الاعياد الدينيَّة والاجتماعات المدنيَّة التي عوَّلت الكليَّة على اقامتها بل كانوا افردوا للمستشرقين امكنةً خاصَّة احتفاء بهم وذلك ما دفع كثيرين حتى السيدات والاوانس ان ينضمُّوا الى المستشرقين ويصطبغوا بصبغتهم لمدَّة ثمانية او عشرة ايَّام. ومن ثمَّ رأت اثينا القوم يتوافدون اليها منذ اوائل اسبوع الآلام ويحلُّون في أنزالها وفنادقها حتى ان الذين تأخروا عن هذا الميعاد الى جمعة الفصح لم يجدوا لهم مكاناً الَّا على شروط باهظة (١

*

وكانَّ الظروف كلها قد اجتمعت لتكسو هذه الاعياد حلَّةً من الفخر والبهجة فانَّ الكليَّة الوطنيَّة كانت قبل يوبيلها بقليل احتفلت بعرس رئيسها الذهبي المسيو

١) يسوغنا ان نذكر هنا ما اظهره بعض ارباب المنازل السويسريَّة من الجفاء والطمع والغلوّ في الاسعار الَّا بعضهم كالسيدة ماك تاگرت (Mac Taggart, *rue du Stade*, 12) التي عيَّنت للنزَّالة في محلها راتباً وسطاً واحسنت معاملتهم طول زمان اقامتهم عندها — وممَّن اثاروا عليهم شكاوى الوفود عمَّالُ السكك الحديديَّة والسفن البحريَّة. فانَّهم لم يقيموا بعهود لجنة المؤتمر التي كانت في اوراقها الرسميَّة تعهَّدت باسعار متعاودة على خطوطها البرّيَّة والبحريَّة لتقلي بطاقاتها المدفاة بخاتمها فخاب امل كثيرين بهذه المواعيد وكان العمَّال لا يرضون بقطع اوراق السَّفر على حسب الشروط لاسباب يستحلُّونها فتارةً يزعمون انَّ الشروط لا تمرّ الَّا للذاهبين والآتيين معاً وتارة يطلبون مصادقة دولة الوافدين فضلاً عن لجنة المؤتمر او يميّزون بين التعاريف النظريَّة (كذا) والتعاريف الجارية. الى غير ذلك مما كدَّر خواطر كثيرين من المستشرقين وكانوا قد رأوا خلاف هذه المعاملات في المؤتمرات السابقة حيث كان البلد الذي يحتلُّونهُ. والشركات التي يعاملونها تحتفي بهم وتُحسن وفادتهم. وقولنا هذا لا يمسّ الشعب اليونانيّ الذي آنس بالمستشرقين واستقبلهم استقبالاً شائقاً مقتدياً في ذلك بملك اليونان والاسرة الملكيَّة نفسها

لمبروس (Sp. Lambros) . ثمّ انّ الأمّة اليونانية كانت خرجت من محنة الانتخابات ظافرةً بجلّ رغائبها فقرّرت رئاسة الوزارة لڤنزيلوس وذلك باغلبيّة الاصوات العظيمة ورأت في تجديد انتخابهِ ضامناً للسلام وللاصلاحات الداخليّة لما تؤمّل البلاد من حكمتهِ ودرايتهِ ومن تحقيق امانيها في وقت قريب

وضاعف هذه الافراح التوفيقُ بين عيد الفصح وحفلة افتتاح المؤتمر وذلك في سنة اتفق فيها وقوع الاعياد الفصحيّة يوماً واحداً على موجب الحسابين الشرقي والغربي فظهر الكلُّ في مجلى واحد من التقى والاتحاد ونسوا ما يفصلهم من اسباب الشقاق والنزاع الديني

ومعلوم ان الدولة اليونانيّة تعضد الدين وتعترف بهِ رسميًّا فكانت الحفلات الدينيّة تجري باتفاق الهيئتين الدينيّة والمدنيّة معاً . ففي مساء جمعة الآلام كنت ترى جماهير الاثينيين خارجين من كنائس المدينة وطائفين بالنظام ومشيّعين لتمثال السيد المسيح ذكرًا لدفنهِ (τὸ ἐπιτάφιον) وكان يسير امام الشعب كوكبة من الجند يدقّون النفير او يضربون الطبول على نغم شجيّ محزن ويتبعهم جوق المرتلين ثم الكهنة والتمثال وراءهم يحملهُ على المناكب اربعة من وجوه المدينة بازيائهم الرسميّة . ووراء الصورة جمهور غفير من الشعب في ايديهم المصابيح الموقدة يتغنّون بالاغاني الروحيّة . وكنّا نشاهد مواكب متعددة تسير في انحاء المدينة فيؤثر منظرها في ناظريها كأنّها تمثل ما جرى على قمّة الجلجلة مساء يوم صلب المسيح او في دفن الشهداء الاولين بعد جهادهم وموتهم في سبيل الايمان

وكانت لجنة التدبير عيّنت لاصيل يوم سبت النور عقد حفلة اجتماعيّة لانتخاب رؤساء يتولّون في أيام المؤتمر كل فرع من فروع العلوم الشرقيّة . وهي حفلة مهمّة لتنسيق الدروس وتنظيم ما جرّيات المؤتمر . الّا انّ تلك الحفلة لم تُعقد ولعلّهم رأوا انّ عدد المستشرقين لم يكمل بعد . فكان هذا الخللُ داعياً لبعض الاضطراب في جلسات المؤتمر التالية لعدم معرفتهم بزعماء كل قسم وكتبة اسراره

وحصل اضطراب آخر بسبب تقارب ساعات الحفلات اليوبيليّة والجلسات العلميّة فكانت تلك الحفلات تطول فتُزاحم الساعات المعيّنة للمؤتمر حتى تقصر اوقاتها فلا

يمكن عقدها في الازمنة المعيّنة او الامكنة المعهودة فتنتج عن هـذه التغييرات سوء تفاهم وانزعاج

وفي ليلة عيد الفصح نصف ساعة قبل منتصف الليـل أُقيمت في الكنيسة الكاتدرائيّة رُتبة أحد القيامة بحضور جلالة الملك وجماهير الشعب والمدعوّين. ومن عادة اليونان انهم يقضون تلك الليلة ساهرين متهجّدين. وفي هذه السنة زاد اقبال الاثينيين على الحفلات الليليّة فأحيوا الليل فرحاً مع المسيح القائم من قبره

*

وما كانت الحفلات الموصوفة الّا مقدّمات سبقت افتتاح عيـد يوبيل الكلية ومؤتمر المستشرقين الذي كان موعدهُ في مساء يوم القيامـة على اكمة اكروبوليس (l'Acropole) المشرفة على المدينـة وفي نادي البرثينون (Parthénon) البديع الذي اقامهُ قدماء اليونان هيكلاً لإلهة الحكمة والفنون الجميلة ميزرفا ثم حوّلوهُ في القرون المتوسطة الى كنيسة من الطرز البوزنطي. فما كان أحرى ذلك المعهد الشريف بان يُصبح مقاماً لافتتاح الاعياد اليوبيليّة بحضور اكابر الناس وممثلي الدول

فبعد الظهر بنحو ساعتين كنت ترى القوم يزدحمون كالبناء المرصوص في لحف الاكمة ليصعدوا الى قمتها. وهم لَكذلك اذ تقدّم جلالة الملك راكباً عربة الاوتوموبيل وفي اثره عجلتان اخريان ركبتها اسرة الملك وحاشيتهُ وكبار دولتهِ فاستقبلهُ الناس باصوات التهليل معلنين بتحمّسهم الوطني وتوقّلوا الاكمة بعـدهُ. وكنّا نحن نسير في رفقة النواب والمؤتمرين مع اثنين من الرهبان اليسوعيين قدما مثلنا لحضور مؤتمر المستشرقين وعلى صدورنا شارة المؤتمر. فصعدنا متّجهين الى موقع البرثينون حتى بلغنا في اواسط الاكمة الى المدخل الجليل المزدان بالاعمدة (Propylées) فلاحت لنا تلك المشاهد التي اتسع في وصفها كل من زارها من السيّاح

وغاية ما يُقال ان البصر يمتدّ من اعالي تلك الاكمة فيشرف على مناظر فتّانة تأخذ بمجامع الصدر وتسحر اللبّ سحراً ويزيد بهاؤها على قدر صعود الصاعد الى مشارفها (١. واتّفق ان صعودنا كان في احد ايّام نيسان عليل النسيم وصافي الاديم

١) اطلب ما كتبهُ مؤخّراً في هذا الصدد جناب الكاتب برتران (Louis Bertrand: *Paysages de Grèce et d'Orient*)

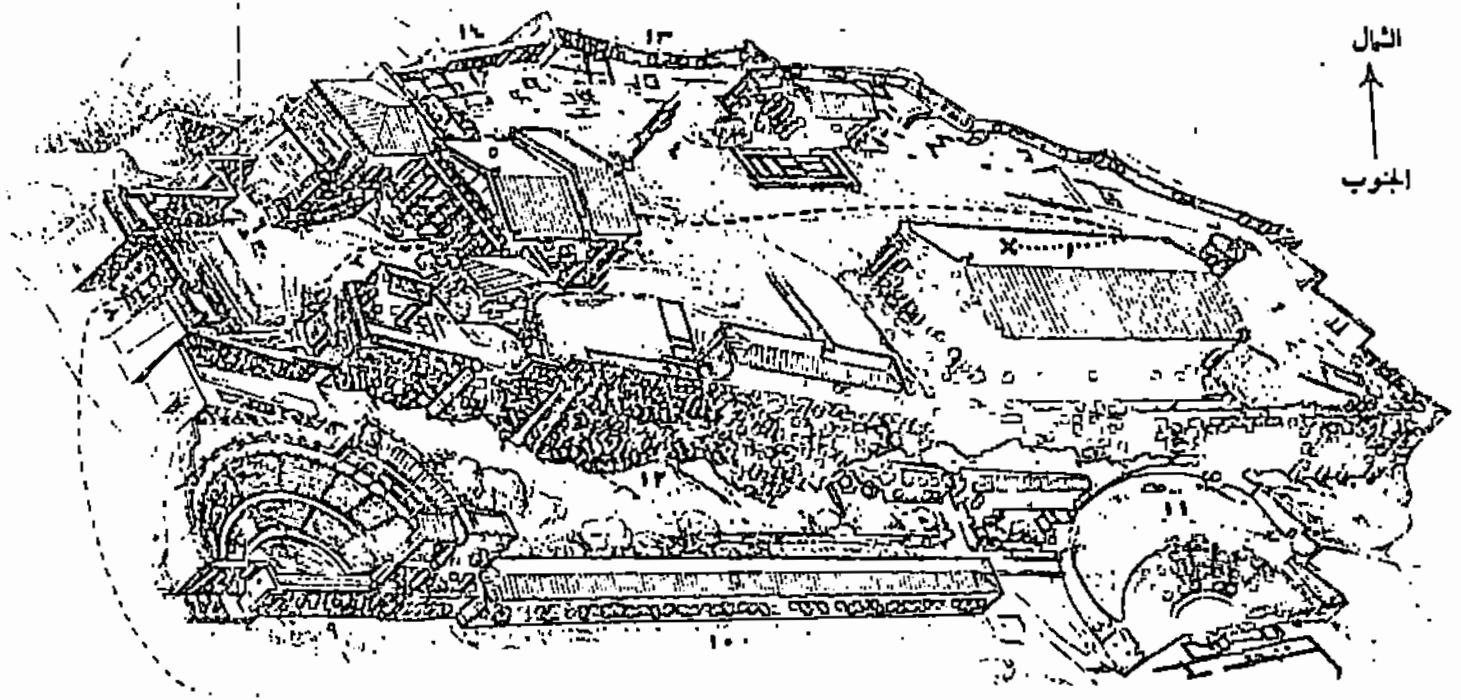

١ هيكل البرثينون. — ٢ هيكل الابرخثايون. — ٣ بيت المال (Chalcothèque). — ٤ تمثال الالهة اثينا المحامية (بروخوس). — ٥ اروقة البروبيليه.
— ٦ تمثال افريها. — ٧ هيكل النصر. — ٨ مدخل البروبيليه. — ٩ مرسح هيرودس اتيكوس (معهد الموسيقيين). — ١٠ رواق ادمانس. — ١١ مرسح ديونيسيوس. — ١٢ اسوار كيمون. — ١٣ اسوار ثمستوكليس. — ١٤ مغاور الاله پان (Pan)
+ نقطة البرثينون التي تمّ فيها افتتاح الاعياد اليوبيليّة ومؤتمر المستشرقين. ------ الطريق التي مشى عليها ملك البرتغال وعائلته واعضاء المؤتمر عند قدومهم

فكانت الشمس تشعُّ على الرياض وعلى معاطف ربوتَي هيات (Hymette) وليكابات (Lycabette) فتصبغ بانوارها النبات الندي وتلثم الزهور المتفتحة بحرارتها بينما كانت اشعتها تضرب صفيحة البحر اللازوردية من جهة مرفإ فاليرة (Phalère) الطافي فوق المياه الزرقاء كالدرة بين الزبرجد. ففهمتُ لدى ذلك المنظر البهي كم تتضاعف محاسن الاشياء اذا كانت في مواقع تليق بها كما يزيد رونق الحجر الكريم في خاتم جميل. فكذلك بناء البرثينون على قمة الاكروبوليس زادهُ فخرًا على فخر

ونحن غائصون في هذه الافكار اذ بلغنا المدخل الفخم حيث كان سبقنا جلالة الملك جورج والملكة اولغا وولي العهد مع قرينته السيدة صوفيا اخت الامبراطور غليوم الثاني وسائر الامراء والاميرات ليستقبلوا الوفود ويرحبوا بهم. ثم بعد عبورنا المدخل المذكور رقينا الدرجات التي تنتهي الى البرثينون من جهة الشمال. فلقينا هناك سيادة مطران اثينا تحفُّ بهِ طائفة من طلبة الكلية وفي يد احدهم راية جميلة عليها صورة السيد المسيح.

وما لبث الموكب الملوكي ان وصل الى باب البرثينون فصدحت الموسيقى وتعالت اصوات الهاتفين لهُ بالدعاء حتى بلغت عنان السماء واذ جلس الملك في سدَّة النادي وامرتهُ حواليهِ قام على دكَّة هناك ابنهُ ولي عهدهِ الامير قسطنطين فالقى خطاباً باليونانية اعلن فيهُ رسميًّا افتتاح اليوبيل والمؤتمر واحسن التحفي بالنوَّاب واعضاء المؤتمر. وعقبهُ وزير المعارف المسيو الكسندريس ثم المسيو لمبروس رئيس الكلية فتلوَا خطابين بليغين في اليونانية والفرنسوية وزعاهما بعد ذلك مطبوعَين عند نهاية الحفلة. ثم قام بعد خطباء اليونان مُمثلو الدول الاجنبية مُطرين بمحامد اثينة دار العلوم ومهنئين اهلها بهذه الاعياد الوطنية ومؤملين خيرًا من تلك الحفلات لفخر الامة وخدمة العلم. وامتاز بين الخطباء المسيو ماكس كولينيون (Max Collignon) احد اساتذة كلية باريس والمسيو دلبروك (B. Delbrück) من كلية يانا والمسيو ماهفي (Ma' Haffy) فخطب الاول بالفرنسوية خطاباً انيقاً فصيح اللفظ بليغ المعنى وخطب الثاني بالالمانية بكل تحمُّس وتكلم الثالث بالانكليزية برقَّة ولطف ففكَّه الحضور بعارضتهِ

وكان المصورون في اثناء ذلك يرسمون بالتصوير الشمسي كل ما يجري من الحركات لينقلوها الى آلة الكينياتغراف لان لجنة الاعياد كانت دوّنت في جملة حفلاتها جلستين لتمثيل ماجريات اليوبيل والمؤتمر بالنور الكهربائي والكينياتغراف

وفي اثر هذه الجلسة تفضّح الوفود قليلاً ثم دُعوا الساعة ٥٧ الى دار المعروضات المدعوّة زاپيون (Ζάππειον) وهذه الدار في خارج المدينة على شكل نصف دائرة موقعها جنوبي الحديقة الملكيّة. فكان ارباب الكليّة وطلبتها اعدّوا هناك للمدعوّين الحلويات والمرطّبات فآنسوهم وتلطفوا في استقبالهم وضيافتهم وادخلونا في باحة الدار الرحبة فقضينا جانباً من الزمان يتعرّف بعضنا بالبعض الآخر. فكانت لعمري ساعة غاية في السعد والبهجة رأت فيها العين مشاهير الرجال الذين كان عشقهم القلب سابقاً لسمعتهم ولمطالعة تآليفهم

وكانت الموسيقى الوطنيّة في غضون ذلك تصدح بالحانها المطربة. وانّما الطرب بلغ غايتهُ اذ باشرت الجوقة بلحن شرقي (١ يشنّف الآذان وقامت لوقتها فئة من طلبة الكلية فرقصوا على ايقاع اللحن رقصةً يدعونها السَّحب او الجذب (σύρτος) كرقص اهالي لبنان في مواسمهم. فكان لحركاتهم احسن وقع في قلوب الحضور لاسيما الذين لم يعرفوا بعد عادات الشرقيين

وفي الساعة ٩٧ مساء كان ختام ذلك اليوم الجليل بحفلة عظيمة عُقدت في ديوان الكليّة الكبير. وكان الملك حاضراً مع اسرته يجامل المندوبين للاعياد ويلاطفهم وحضر ايضاً كثير من اعيان الدولة في مقدّمتهم رئيس الوزارة ڤنزيلوس. وكان بين الاجانب كثيرون من ذوي الشهرة نخصّ بالذكر دولة الامير فؤاد عم

---

١) لا تزال النغمات الشرقيّة شائعة في اليونان فمن قائل انّها غريزة من غرائز البلاد الجنوبيّة وانماء الشرق ومن زاعم انّها موروثة عن الموسيقى البوزنطيّة. ويذهب غيرهم انّها بقايا من الالحان العثمانيّة مدّة تملّك بني عثمان على بلاد اليونان. والمرجح انّ هذه الاسباب كلها اثرت مما في النغمات اليونانيّة. ومما اذهلنا غاية الانذهال اننّا في مدّة اقامتنا في رومية كنّا نسمع القرويين يتغنّون باغاني مختلفة تشبه الشبه التام موالي اهل لبنان او حدو العرب. بل لحظنا ان بقيّة القوم اذا اسمعوك الحاناً من كبار الموسيقيين الايطاليين كثردي اردفوها بلحن شرقيّ. وهو امر جدير بالاعتبار يدلّ على تأثير التمدن القديم في البلاد التي كانت تحت حكم دول مختلفة

الحضرة الخديويّة. فكان جلالة الملك يرحب بالجميع ويتنقل بين فتاتهم ويصافحهم وقُدمت ثانيةً المرطبات وضروب الحلويات للجميع وبقي الحديث دائرًا الى قرب منتصف الليل.

والكليّة اليونانيّة التي كنّا تلك الليلة في معاهدها قد أُنشئت سنة ١٨٣٧ اي منذ ثلثة ارباع القرن وتولّى هندستها وبناءها المهندس الدنيمركي هانسن (Hansen) الذي شيّدها على طرز الهياكل اليونانيّة القديمة ففاقت على كلّ الابنية الحديثة في اثينة ونقشها بالالوان الزهيّة مع مراعاة الذوق السليم. وجعل موقعها في الساحة المعروفة اليوم بساحة الكليّة متوسطةً بين بنايتين أُخريين جميلتين اعني المكتبة العموميّة ودار العلوم وكلتاهما ايضاً من الطرز اليونانيّ وبالرخام البنتيلي الشهير فجاء مجموع هذه الابنية الثلثة زينة وفخرًا لمدينة اثينة

وفي داخل الكليّة المعاهد الواسعة والحُجر المنظّمة لالقاء الدروس بينها الديوان الفخيم الذي كنا مجتمعين فيهِ وهو مزدان بالنقوش اللطيفة. وعلى جدرانهِ مجموع صور رؤساء الكليّة ومشاهير اساتذتها

امّا نظام الكليّة فعلى نظام الكليّات الالمانيّة (١ فلها شورى تُعنى بادارتها ورئيس يختارونهُ كل سنة ويدعونهُ پروتانيس (πρύτανις). والكليّة على خمسة اقسام او مكاتب كبيرة يُعلّم فيها ٥٦ استاذًا يساعدهم في المراجعات والمذاكرات ٥٧ آخرون امّا عدد التلامذة فبالغ ٢٥٠٠ ثلاثة ارباعهم يدرسون الطب والحقوق

*

وكان ثاني عيد الفصح شبيهاً بالاحد في مواسمهِ ومظاهراتهِ بل زاد عليهِ رونقاً. وفي الصباح أطلقت المدافع ايذاناً بالحفلات المنتظرة. ولمّا تزيّنت الساعة العاشرة

---

١) — بين اليونان والمانية علائق وثيقة منذ تولّت تدبيرهم سلالة باڤاريّة ثم دنمركيّة فترى الناشئة تتوارد الى المانية لتتخرّج في كلياتها. وكثير من اساتذتها درسوا هناك فيحسنون التكلم باللغة الالمانيّة اكثر من الافرنسيّة. امّا اصلاح الجيش فقد عهد بهِ اليونان الى عدة افرنسيّة كما عهدوا باصلاح الشرطة الى بعثة ايطاليّة على مثال تركيّة قبل حربها الماليّة. والملازم الذي يقوم بهذه المهمّة يُدعى دي منداتو (de Mandato) وهو اخو حضرة رئيس الكليّة الفرنسويّة في رومية

تقاطر معظم الناس الى جهات الكنيسة الكاتدرائية مزدحمين على ممرّ الملك. واذا بالنفير اخذ يدقّ مُشعرًا بخروج جلالتهِ من قصرهِ فدوى الجوّ باصوات الهاتفين لاكرامهِ وانفتحت الطريق لموكبهِ فكان الملك والملكة راكبين مركبةً فاخرة يقلّها اربعة من الجياد المطهّمة وكان يتقدّم المركبة ياوران افرنسيان وتتبعهما مركبات البلاط للعترة الملكيّة بينما كانت جماهير الشعب تحيي ملكها بالسلام

ثم دخل الملك الى الكنيسة وجلس مع حاشيتهِ على يمين الهيكل فوق مرتبة أُعدّت لهم. ودخل المطروبوليت مع لفيف الكهنة والاكليروس من باب الايقنستاس الكبير. وامكنّا ان نحضر هذه الحفلة بصفة اعضاء المؤتمر. ثم ابتدأت الرتبة الدينيّة التي خُصت بتسبحة الشكر (Te Deum) فباشر بها المطروبوليت باليونانيّة وغنّاها بعدهُ جمهور المرتلين ليس على تلحين الغناء البوزنطي كما كنتُ منتظرًا ولكن على نغمة الموسيقى الحديثة وتوقيع الاصوات المتآلفة (١. امّا تسبحة الشكر فتشبه كثيرًا تسبحتنا اللاتينيّة المنسوبة الى القديس امبروسيوس وامكنني ان اتبع معانيها الى التريزاغيون (Sanctus) . وقرئت بعد غناء التسبحة الدبتيخات والادعية لرؤساء الدين وطبقات المؤمنين ثم عقبها التبخير المعتاد للملك واسرتهِ وكافّة الحضور وخُتمت الرتبة بمصافحة المطروبوليت لجلالة الملك والامراء.

وما انتهت هذه الحفلة الدينيّة حتى اسرع الناس فانتقلوا الى طرف المدينة حيث الميدان والحديقة الملكيّة ليحضروا استعراض الملك للجيش وكان الجند قد انتظموا هناك على اختلاف دوائر فرَقهم من مشاة وفرسان وطوبجيّة تحت نظارة اركان الحرب والضباط. ففي الساعة الحادية عشرة والربع تناقلت الافواه اسم الملك واذا بجلالتهِ مع وليّ عهدهِ قدما وكانا هذه المرّة لابسين البزّة العسكرية وراكبين فرسين كريمين فمرّا امام الجيش واستعرضا الجنود ورقبا حركاتهم بايماز قوّادهم ثم اثنى الملك على حسن نظامهم فحيّوهُ بالنصر

---

١) واليوم كادت الكنيسة الروسيّة تمثل الغناء البوزنطيّ وتنوب عنهُ بالموسيقى الجوقيّة وكذلك كانت اثينة فانّ الموسيقى البوزنطيّة فيها على تقهقر فليس كنيسة الّا وتُمزَج فيها البالتيكا بالنغمات المستحدثة

تمثال اثينا الملقبة بالعذراء (Παρθένος)
المنصوب في هيكل البرثنون

قلنا ان الحكومة اليونانية عهدت بتنظيم جيشها الى ضبّاط افرنسيين. وقد سمعنا في اثينا غير مرّة اهلها يشكرون طريقتهم في تمرين الجند على الآداب الحربيّة. وكان البعض يرون انهم يبالغون في التدقيق وحفظ النظام لكنّنا عددنا ذلك من حسن خصالهم. وما لا ينكره احد ان الضباط الفرنسويين يتفانون في خدمة اليونان ويبذلون الجهد والمجهود في تقوية جيشهم وقد عرف لهم الشعب غيرتهم ويحسبهم من افضل المساعدين على الاصلاحات التي ينويها فنزيلوس. وكما يشكر اليونان حسن تصرّف الفرنسويين في تمرين الجيش ولاسيما الجنرال ايدو (Eydoux) كذلك سمعنا الكهنة الكاثوليك في اثينا يثنون على تديّن اولئك الضبّاط الذين لا يهملون شيئاً من واجبات الدين فهم بتقاهم قدوة طيبة لليونان الارثذكس

وفي عصر النهار عُقدت في ديوان الكليّة جلسة عموميّة حضرها ايضاً الملك وذووه فتناوب في منبر الخطابة رئيس الكليّة ثمّ منتدبو الدول والجمعيّات العلميّة فلفظوا الخطب البليغة في تهنئة اليونان باعياد اليوبيل باسم الذين اوفدوهم لحضور هذه الاعياد وكان لبعض هذه الخطب الوقع العظيم في قلوب السامعين فصفقوا لها بالتصفيق المتتالي لاسيما خطبة المؤرخ الشهير غدفروا كورث (God. Kurth) وكان هذا الاجتماع مهيباً جدًّا لحضور اساتذة الكليّة بزيّاتهم الرسميّة الآخذة بالابصار

على انّ هذه الحفلة مع حسنها طالت فتعدّت على الوقت المعيّن لجلسة المستشرقين حتى ان بعض اقسامها لم يمكنها ان تجتمع او قصّر وقت اجتماعها فلم يستوفِ الخطباء كلامهم كما شاؤوا. فالقسم المختصّ بالدروس الاسلاميّة مثلاً لم يقم بواعيد لاخته المطبوعة وفي هذه الجلسة عيّنوا العلّامة غلدتسير (J. Goldziher) استاذ اللغات الشرقيّة في بودابست كرئيس هذا الفرع والمسيو سنوك هرغرونيي (S. Hurgronje) من علماء ليدن كنائبه ثم اختار الرئيس كاتباً للاسر او الشاب الاديب لويس ماسينيون (L. Massignon). وحضر هذه الجلسة بعض علماء مصر كالشيخ احمد الاسكندري من اساتذة الازهر والشاعر احمد شوقي وسعادة احمد زكي باشا الذي خطب مرارًا في المؤتمر في اقسام شتى. وفي هذه الجلسة تلا حضرة الاب لامنس مقالة مستجادة عن المساجد وخواصّها في اوّل الاسلام

وكان مسك ختام ذلك اليوم المناورات التي قام بها الاثينيون فانّ طلبة الكليّة

ساروا الساعة ٩٠ في شوارع المدينة بالشُرُج الوقدة وأُنيرت مدة عشرين دقيقة أكمة الاكروبوليس فظهرت لاعين المشاهدين كشعلة نار لاحت لهم بين السماء والارض على هيئات عجيبة غريبة والوان رائعة بديعة كادت تسبي العقول فكنت ترى الابنية الاربعة المشيَّدة فوق الاكمة اي المدخل السابق ذكرهُ وهيكل إلهة الانتصار (Victoire Aptère) والبرثينون وهيكل الايرختيون (Erechtheion) المبني قديماً لاكرام اله البحر نبتون تبدو كلها بصورها الهندسية الجميلة وتقاطيع بهيَّة من النور ثم كانت الوانها تختلف اختلافاً يزيدها حسناً فتظهر حيناً حمراء وحيناً بيضاء او خضراء ويظهر كل بناء على هيئة خاصة بالنسبة الى ما يليهِ . وكنَّا صعدنا الى ربوة ليكابيت لنسرّح النظر في هذا المنظر الفتَّان الذي لن يبرح من ذاكرتنا طول حياتنا

*

في صباح الثلثاء الساعة التاسعة عُقدت محاضرات علميَّة في ديوان الكليَّة تخلَّلتها الانوار الكهربائيَّة وأُجل منها قسمٌ لئلا تتأخر جلسات مؤتمر المستشرقين التي تمَّت في اوانها

امَّا المساء فدُعي نوَّاب الدول بحرًا واعضاء المؤتمر برًّا الى زيارة آثار مدينة الوسيس (Eleusis) الشهيرة بهيكلها حيث كان قدماء اليونان يكرمون الإلهة سارس (Cérès) بُرتب سرّية مخجلة وكان شيَّد هذا البناء زعيم الاثينيين بريكلس الكبير في القرن الخامس قبل الميلاد. وموقع الوسيس على ١٨ كيلومترًا شمالي غربي اثينة فسرنا في عربات السكة الحديديَّة التي أُفردت لنا مجَّانًا ثم انقسمنا لدى وصولنا حسب بلادنا اقساماً تدلُّ عليها رايات كل دولة وكان يصحب كلَّ قسم استاذ او طالب من طلبة الكليَّة ليدلَّهُ على الآثار ويفسّرا لهُ معانيها. ولمَّا اجتمع كل الزوَّار وكان بينهم ركَّاب السفينة ايل دي فرنس (Ile de France) الراسية في مرفأ البيره انتشت تلك البقعة وحييت في اعيننا أُلوسيس وهيكلها القديم . والوسيس اليوم بلدة صغيرة سُرَّ اهلها بمجيئنا وهناك قدَّمت لجنة الاعياد للزائرين شيئاً من المآكل والمشروبات تحفيًا بهم. وكانت وعدتهم بملهاة لتمثيل الرقص الوطني الذي لم يتمّ عملًا لسوء تفاهم حصل بين اصحاب اللجنة وشيخ البلد

يوم الاربعاء تمت محاضرات الكليَّة مع الانوار الكهربائية. وممَّا سمعناه من المقالات المستحسنة سيرةً لاحد أعراب حمى دارياً وصف فيها اعمال حياته فقرأ هذه النبذة اللطيفة الاستاذ هسّ (G. Hess) ثم تلاهُ حضرة الاب اليسوعي دي جرفانيون (de Jerphanion) فعرَّف تاريخ بعض الكنائس البوزنطيَّة التي اكتشفها في « طوقاله كليسه » في برّ الاناضول ورسم صورها العجيبة بالانوار الكهربائيَّة

وقامت كل اقسام المؤتمر في هذا اليوم باعمالها. فسمعنا بكل طيب الخاطر مقالة الدكتور غلدتسير عن فخر الدين الرازي ومعارفهِ في علم الكلام. ثم عقبتها مقالة الشيخ احمد الاسكندري في اللغة المصريَّة العاميَّة ثم مقالة العلامة الالماني بكر (C. H. Becker) عن نتيجة رحلة الارشيدوق دي مكلنبورغ الى قلب افريقية وما استفادهُ هناك لتعريف حالة المسلمين. ثم عرَّف جناب الاستاذ مرجليوث (S. D. Margoliouth) القسم السادس من كتاب معجم الادباء لياقوت الرومي الذي عُني بنشرهِ ووصف المشرق اقسامهُ السابقة (ص ٣١٤ الخ). وقام في اثرهِ الاديب لويس ماسينيون وبسط للحضور شيئاً من ابحاثهِ عن احد مشاهير الخوارج الحسين بن المنصور الحلَّاج

وفي مساء النهار الساعة السادسة عُقدت حفلة موسيقيَّة في معهد الجمعيَّة المعروفة بالپرناس (Parnasse) حيث كنَّا مجتمع للمفاوضة في العلوم الاسلاميَّة فسمعنا اصواتاً رخيمة لمشاهير ارباب الغناء وعدَّة قدود موقعة على آلات الطرب منها اوربيَّة ومنها يونانيَّة

وفي الساعة ٩ مساء حضر البعض في المرسح الملكي تشخيص رواية اوديبوس الملك باليونانيَّة الحديثة وقد اثنى الحضور على محاسن المرسح وإحكام الممثلين في تشخيص ادوارهم

ويوم الخميس حضرنا في المؤتمر جلسة عقدها الفرع المختصّ باليونانيَّة الحديثة حيث تعرَّفنا بعدَّة علماء ممَّن اصابوا شهرةً في الدروس اليونانيَّة القديمة والحديثة من وطنيين واجانب وكنَّا وعدنا بتلاوة مقالة عن الالفاظ التركيَّة الدارجة في اللغة اليونانيَّة العاميَّة في جهات الروملي وخصوصاً في ادرنة

فقمنا بوعدنا واختصرنا يومئذٍ درساً موسعاً كنّا نشرناه في ثلاثة اعداد من المجلة الاسيوية الفرنسوية في آخر العام المنصرم فوجد الحضور لذّة في هذا البحث وتفاوضوا في مقترحاته ملياً

وبعد الظهر بوشر في الميدان بالعاب الجامعة اليونانية (Jeux Panhelléniques) التي تواصلت مدّة ثلاثة ايام فحضرنا بعضها . والالعاب المذكورة عبارة عن رياضات بدنية شتى كالسباق في العدو والوثوب والصراع ورمي الكرة وغير ذلك مما يدلّ على حذق اللاعبين وقوتهم . وقد رأس هذه الالعاب ابن الملك وكانت تجري عدّة العاب في وقت واحد. اما ميدان السباق في اثينا فتاريخهُ يترقى الى ليكرغس نحو السنة ٣٣٠ قبل الميلاد وكان طولهُ ٢٠٤ امتار في عرض ٣٣ متراً. وفي السنة ١٤٠ بعد المسيح جهّزهُ هيرودس اتيكوس بمقاعد من رخام اقتلعوها من مقالع جبل بنتيليك التي فرغت بعدهُ. ثم أُهمل هذا البناء على توالي الاجيال ونُهبت حجارتهُ حتى قام قبل ٢٠ سنة احد المحسنين اليونان في الاسكندرية المسيو اثيروف فتبرّع بمليون من الفرنكات (وقيل اضعاف ذلك) لترميم هذا الميدان كي تقام فيهِ الالعاب الاولمبية سنة ١٨٩٦. وهذا البناء المستحدث تخالف هيئتهُ في اثينة الابنية القديمة الجليلة فهو مشيَّد على شكل مستدير ودرجاتهُ لا تقلّ عن ٤٤ صفّاً لكنها بلا ساند

وجرت غير ذلك من الحفلات مدّة اسبوع الفصح قام بها بعض الخواصّ او الجمعيّات فساء الخميس دعا اصحاب المكتب الانكليزي الاركاني وفود اليوبيل والمؤتمر الى حدائقهم الواقعة وراء بلاط وليّ العهد الذي حضر بينهم. وكانت سبقت يوم الاثنين السيدة شليمان (Schliemann) ارملة الاثري الكبير الذي اكتشف آثار تروادة وعرّف التدُّن الميقيني فدعتنا الى دارها الفخيم . وكذلك اجتمع المذكورون الى مقام فاليرة (Phalère) المعروف باكتاون (L' Actaion) بدعوة خاصّة من المسيو لمبروس رئيس الكليّة وقرينتهِ . وكان الختام يوم السبت بدعوة المكتب الايطالي...

فترى ان اليونان القائمين بهذه الاعياد الثائقة لم يألوا جهداً في تجهيزها وانجازها على طريقة لائقة بشعب كريم. والحقّ يقال ان الذي يرى اثينا في عهدنا لا يتمالك عن الاقرار بتقدُّمها ورقيها والفضل في ذلك يعود غالباً الى رئيس وزارتها فنزيلوس

المعروف بلين العريكة والحكمة والحزم وتشهد له اعماله العظيمة اذ عرف ان يجمع بدرايته كلمة اهل موطنه وينفي عنهم الشقاق والتحزبات كما انه سعى في حفظ السلام مع الدولة العلية ولم يشأ ان يطرح بلاده في حرب مشئومة كحرب ١٨٩٧ او اشأم. وقد كسب فضلاً عن ذلك ثقة اهل وطنه فنزع ما كان في قلوبهم من الحزازات والامل معقود على مواصلته تلك الخطة مدة رئاسته الجديدة

وكان ختام المؤتمر في ١٣ نيسان فأقيمت لذلك حفلة خاصة تولاها وزير المعارف وشكر فيها المسيو لمبروس وفود الاعياد وتكلم كثيرون من الخطباء كالمسيو بزنبرجر (Bezzenberger) ودي غوبرناتيس (A. de Gubernatis) وافاضوا في مدح اليونان وتمنوا لهم مزيد الاقبال. اما تعيين المدينة للمؤتمر القادم فلم يتفقوا عليه بعد كما سبق وكانت الاصوات منقسمة بين القاهرة وليبسيك وامستردام واوكسفرد او كمبردج

ثم افترقنا بعد الوداع وفي مساء ذلك النهار ركبنا الباخرة متوجهين الى الاسكندرية شاكرين الله على ما انعم علينا بزيارة ارض اليونان وموطن الفنون الجميلة. اما النتيجة من هذا المؤتمر فكنتيجة ما سبقه من الاجتماعات السابقة التي لا تُنكر فائدتها لتعزيز العلوم الشرقية وتوسيع دائرتها. ولعل هذه الفائدة تكون مضاعفة لو اقتصر المندوبون على الجلسات العلمية دون مزجها بالاعياد والحفلات الوطنية. وكذلك من الواجب اللازب ان تُعيَّن ساعات الاشغال بضبط وتدقيق فتُعقد الجلسات في اوانها. ومما يستاءُ العقلاء ان يقصّر الخطباء كلامهم فلا يتجاوزون نصف الساعة في ايضاح مقاصدهم ويختاروا المواضيع الهامة غير المبتذلة والمعروفة سابقاً فيعرضوها بكلام قصير مُفيد لانَّ زمن المؤتمرات ثمين والعلوم واسعة فعسى هذه الاماني تتحقق في المؤتمر القادم ان شاء الله